السلام والحرب فى دعوة الحق

مفهوماً وضابطاً

للدكتور / شعبان على أحمد ابو طه

المدرس بقسم الدعوة والثقافة

الإسلامية بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، ورحمة الله للعالمين ، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه ، خير من دعا ووعى وبعد :

فإن الله – سبحانه وتعالى – ما شرع الدين ، وما أنزل الرسل – عليهم السلام – مبشرين ومنذرين . إلا لأجل الإنسان ، الذى يعد فى دين الإسلام أمل وغاية فى كل ما جاء به من تشريعات وتوجيهات ومبادئ ، حتى غدا المرء المسلم فى هذا الدين بيت القصيد وقطب الرحا ومركز الدائرة .

وقد أحاطه الدين بسياج يضبط له ذاته ويحفظ عليه توازنه واعتداله ، ويقيم فى داخله قسطاساً بين عقله وعواطفه . يستبين له من خلاله ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، وهذا ما يحدو بالمرء المسلم إلى أن يكون متسقاً مع نفسه متوازناً مع نوعه متلاقياً فى أفراده منسجماً مع غيره من بقية الأجناس الأخرين أياً كانوا يقول الله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١)

فالآية الكريمة تأمر المسلم أن يعايش الآخرين تعايشا سلميا قائما على العدل والبر والإنصاف والتسامح ، يكون المسلم فيه عضوا أساسيا بمثل الأمن والامان والسلم والسلام والتسامح والصفح حتى مع الأعداء الذين لم يقاتلونه فى الدين ولم يتعاونوا مع أعداء المسلمين ضدهم ، وهذا من باب الإنسانية التى ما نزل الإسلام إلا لها ، وفى سبيلها جعل الإسلام الأصل فى العلاقة بين البشر هى السلام .

---

(١) سورة الممتحنة : الآية رقم ٨ .

ولكن ماذا لو جاهرنا الأعداء بالقتال ، وقاموا فى وجوهنا باذرين بذور الفتنة وهى أشد من القتل ؟ هل نقف مسالمين موادعين ؟ كلا فإن ديننا الإسلامى الذى فرض علينا السلام حتى مع الأعداء هو الذى يطالبنا حينئذ أن نهب فى وجه الأعداء مدافعين دارئين للفتنة ، لكنه لا يتركنا ونحن نخوض غمار هذه الحرب المشروعة دون ضابط يضبط سيرها وحركتها ، بما يجعلها حرباً مشروعة ما قامت إلا دفعاً للاعتداء ونودا عن بيضة الدين وساحته .

وذلك كله من خلال كلمة الإسلام ورؤاه فى السلام والحرب وهو موضوع بحثى هذا والذى اخترت الكتابة فيه لأن المسلمين فى هذه الأيام يواجهون حملة شرسة ، قام بها أعداء ديننا الإسلامى ، مؤداها أنهم يحبون الحرب وسفك دماء الآخرين ، وهذا – لا شك – كذب وتضليل منبعه فى المقام الأول هو الجهل بالإسلام ومبادئه وتاريخه وحضارته وتعاليمه ، فالإسلام وهو يخوض غمار الحرب المشروعة يتطلع إلى السلام ويتعشقه ويرنو إليه ، ويقول الله تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١)

وفوق هذا فالحرب فى الإسلام ضرورة لا غاية ووسيلة أخيرة يلجأ إليها الإسلام إن أعوزته الوسائل وهو فى كل الحالات يخوضها مضطرا لا متشفيا ولا متشوقا إلى الدماء .

لهذا اثرت الكتابة فى هذا الموضوع والذى حبرته وصنفته عبر هذين المبحثين :

---

(١) سورة الأنفال : الآية رقم ٦١ .

المبحث الأول

السلام فى دعوة الحق

ويشتمل على المطالب الآتية :

المطلب الأول : تعظيم الإسلام للسلام .

المطلب الثانى : مفهوم السلام للتصور الإسلامى ومظاهرة .

المطلب الثالث : الطريق إلى السلام فى دعوة الحق .

المطلب الرابع : ضوابط السلام فى الإسلام .

المبحث الثانى

الحرب فى دعوة الحق

ويضم المطالب الآتية :

المطلب الأول : دوافع الحرب فى دعوة الحق .

المطلب الثانى : توجيهات الرسول قبل الحرب .

المطلب الثالث : أخلاقيات المسلمين أثناء الحرب .

المطلب الرابع : معاملة الإسلام للأسرى .

وقد شرحت وبينت هذه المطالب من خلال فرش البحث وبنائه .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم

الباحث

د / شعبان على أحمد أبو طه

المبحث الأول

السلام فى دعوة الحق

ويشتمل المطالب الاتية :

المطلب الأول : تعظيم الإسلام للسلام .

المطلب الثانى : مفهوم السلام فى التصور الإسلامى ومظاهرة

المطلب الثالث : الطريق إلى السلام فى دعوة الحق .

المطلب الرابع : ضوابط السلام فى الإسلام .

المطلب الخامس : أخلاقيات الإسلام قبل الحرب تقرر السلام .

المطلب الأول

تعظيم الإسلام للإسلام

السلام لفظاً ومعنى له فى الإسلام منزلة لا تدانيها منزلة أخرى ولا يمكن أن تقارن بالمنزلة التى يقررها أى مذهب من المذاهب أو شعب من الشعوب فى زمن من الازمان .

فقد أشاد القرآن الكريم – كتاب الدعوة الأول – إشادة بالغة بالسلام ، فالله سبحانه وتعالى هو السلام يقول الله تعالى﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ** ﴾ (١) .

---

(١) سورة الحشر : اية رقم ٢٣ .

والإسلام دعوة صريحة إلى السلام يقول الله – تقدست أسماؤه – ﴿ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ..... ﴾ (١) والجنة تلك الدار التى أعدها الله للصالحين هى دار السلام يقول الله – عز ذكره – ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ..... ﴾ (٢) وتحية أهلها السلام يقول الله تعالى ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) وقد جاء فى الحديث الشريف أن السلام تحية البشرية التى علمها الله لسيدنا آدم عليه السلام تحية له ولذريته ، يلزم الجهر به وإفشاؤه بل إن إفشاء السلام هو الطريق إلى الجنة يقول رسول الله (ﷺ) " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم " (٤)

يقول الإمام النووى : وأما قوله (ﷺ) " أفشوا السلام بينكم " فهو بقطع الهمزة المفتوحة وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف ، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة وفى إفشاءه تمكن الفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين (٥) .

ولو أردنا أن نرى السلام مختلطا بدم وشغاف قلب بشر ، لكان هذا البشر هو سيدنا محمد (ﷺ) رسول الله بالرحمة للعالمين حتى قبل الـ وة

---

(١) سورة المائدة : الآية رقم : ١٦ .

(٢) سورة يونس – عليه السلام – الآية رقم : ٢٥ .

(٣) سورة يونس – عليه السلام – الآية رقم : ١٠ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى – ج٢ – ص ٣٥، ٣٦ ، باب : بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وان محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها ، ط : المطبعة المصرية ومكتبتها بدون تاريخ .

(٥) السابق نفس الموضع .

يقول د / محمد عبد الله دراز – يرحمه الله – " إن محمداً (ﷺ) نفسه كان مطبوعا بفطرته على التسامح وحب السلام ، وأنه كان داعية توفيق لا تفريق ذلك ما تدل عليه حياته حتى قبل النبوة ، ولاضرب مثالين اثنين فقط:

أحدهما :

حادث الحجر الاسود حين اختلفت القبائل فيمن يكون له شرف وضعه في مكانه من الكعبة وحكموا محمداً – الأمين – بينهم فلم يتحيز في حكمه لجانب قبيلته هو ، بل حكم أن يوضع الحجر في رداء وأن تأخذ كل قبيلة بطرف لتساهم كلها في هذا الشرف ، وهكذا كان به حقن دمائهم والتاليف بين قلوبهم .

الثاني :

اشتراكه حين كان له من العمر خمس وعشرون سنة في حلف الفضول وهو شبه مؤتمر صغير تحالفت فيه قريش على نصر المظلوم وحفظ الأمن العام .

إن إثارة هذه الذكرى في يومنا هذا ، وفي مكاننا هذا لها موقع خاص ، وإننا لا نستطيع أن ندفع عن خيالنا هذه المقارنة بين الماضي والحاضر ، ويلوح لنا أننا الآن إنما نطبع على غرار ذلك الماضي البعيد ، وحين نترسم الخطوات الأولى للنبي العربي (١) الكريم (ﷺ) هذا ما فعله رسول الله (ﷺ) – قبل النبوة – ولم يكن بعد قد أوحى إليه ، إلا أن نفسه كما سبق أن بين كانت مجبولة على حب السلام والذي راح بعد أن اختاره الله للرسالة يعمقه في قلوب أتباعه – رضوان الله عليهم – بما قدمه

(١) دراسات إسلامية في العلاقات الدولية والاجتماعية ، ص ٣٢٦ – تحقيق الشيخ أحمد مصطفى – تقديم أ . د / عبد العظيم المطعني ، ط : دار القلم بالكويت ، ط : ٥ – سنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٣ .

إمامهم من تطبيقات عملية كانت شاهدة على ايثارة المسالمة على ضدها، وهذه التطبيقات كثيرة نختار منها الآتي :

١ – صلح الحديبية :

وكان في ذي القعدة سنة ست من الهجرة ، وقد انتشر الإسلام في الجزيرة العربية وكثر عدد المسلمين ، وبدأت التمهيدات لإقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم في المسجد الحرام ، برؤيا رآها رسول الله (ﷺ) في المنام ورؤيا الأنبياء وحي وهوفي المدينة أنه دخل هو وأصحابه واعتمروا ، وحلق بعضهم وقصر البعض الآخر ، فأخبر النبي بذلك أصحابه ، ففرحوا ، وحسبوا أنهم داخلون مكة عامهم هذا .

تجهز النبي (ﷺ) للسفر ، هو وأصحابه ، فركب ناقته القصواء واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم .

وخرج النبي (ﷺ) من المدينة يوم الاثنين غرة ذي القعدة سنة ست الهجرية ، ومعه زوجته أم سلمة رضي الله عنها في ألف وأربعمائة ويقال ألف وخمسمائة ، ولم يخرج معه بسلاح إلا سلاح المسافر ، والسيوف في أغمادها (١) .

وقد كانت قريش لما سمعت بخروج النبي (ﷺ) قد عقدت مجلساً استشاريا قررت فيه صد المسلمين عن البيت الحرام ، ومنعهم من دخول مكة بالقوة ذلك أنهم ظنوا أن النبي (ﷺ) إنما قدم ليحاربهم ، أما رسول الله (ﷺ) فهو ماض في طريق الرغبة عن القتال وقدومه إنما هو لأداء النسك وقد استقربه المقام في الحديبية فأرسل إليهم من يخبرهم أنه أتى زائراً للبيت الحرام وليس محاربا ، وحينئذ سيرت قريش الوسطاء يفاوضون محمداً إلى المصالحة والموادعة والمسالمة معهم فأثر المسالمة ، ولم

---

(١) الرحيق المختوم في السيرة النبوية : للأستاذ / صفي الرحمن المباركفوري ، ص ٢٣٥ ، ط : مكتبة الإيمان – بالمنصورة – أولى – ت : ١٤٣١هـ /١٩٩٣ م .

يكن إيثاره المسالمة ناجماً عن ضعف فقد كان معه رجاله واصحابه – العشرون منهم يغلبوا مائتين والمائة تغلب الفا بإذن الله ، ولكنه رسول السلام والرحمة ، فاثر السلام على الحرب ، وتصالح الفريقان فى معاهدة رسمية وها كم نصها حرفياً :

" باسمك اللهم هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله ، وسهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه لا إسلال (١) ولا أغلال (٢) وأن بيننا عيبة مكفوفة (٣) وأنه من احب أن يدخل فى عهد محمد وعقده فعل ، وأنه من أحب ان يدخل فى عهد قريش وعقدها فعل ، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده إليه وأنه من اتى قريشا من أصحاب محمد لم يردوه وأن محمدا يرجع عنا عامه هذا باصحابه ويدخل علينا قابلا فى أصحابه فيقيم بها ثلاثا لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف فى القرب . شهد ابو بكر بن أبى قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومحمد بن مسلمة ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص بن أخيف ، وكتب على صدر هذا الكتاب فكان هذا عند رسول الله وكانت نسخته عند سهيل بن عمرو وخرج أبو جندل بن سهيل بن عمرو من مكة على رسول الله (ﷺ) مسلماً يرسف فى الحديد أى مقيد فقال سهيل أبوه : هذا أول من أقاضيك عليه ، فرده إليه رسول الله وقال يا أبا جندل قد تم الصلح بيننا وبين القوم فاصبر حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً فلما فرغوا من الكتاب انطلق سهيل وأصحابه ونحر رسول الله هديه وحلق ونحر أصحابه وحلق عامتهم وقصر الآخرون فقال رسول الله رحم الله المحلقين (قالها ثلاثاً) قيل يا رسول الله والمقصرين قال

---

(١) الإسلال : الغارة الظاهرة ، وقيل المقصود السيوف ، النهاية . ج٣ – ص ١٦٨ .

(٢) الإغلال : الخيانة: نفسه ، ج٣ ، ص ١٦٨ .

(٣) عيبة مكفوفة اى بينهم صدر الغل والخداع مطوياً على الوفاء والصلح نفسه ص ١٤٣ .

والمقصرين وأقام رسول الله بالحديبية بضعة عشر يوماً ويقال عشرين يوماً ثم انصرف رسول الله فلما كانوا بضجنان نزل عليه إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً فقال جبريل عليه السلام يهنئك الله يا رسول الله وهنئه المسلمون (١) ، وفيما يلى تحليل للبنود التى تضمنتها معاهدة صلح الحديبية:

١ - لا يدخل المسلمون مكة هذا العام وعليهم الرجوع إلى المدينة بعد توقيع هذه المعاهدة .

٢ - نصت المعاهدة على دخول المسلمين مكة ليقضوا مناسكهم فى العام القادم ويكون ذلك فى ثلاثة أيام يغادرون بعدها مكة إلى المدينة

٣ - وضع الحرب أوزارها بين الفريقين عشر سنوات .

٤ - تلتزم قريش بعدم التعرض للمسلمين حين يدخلون مكة بأى أذى والسماح لهم بأن يحملوا السيوف سلاح المسافرين وأن يتركوها فى أغمادها

٥ - التزام النبى برد من جاءه مسلما من قريش وليس على قريش ذلك .

والناظر فى المعاهدة وفى بنودها المستخلصة منها يرى أن فيها ظلماً وإجحافاً بيناً واقع على المسلمين حتى إنه رؤيت آثاره بعد توقيعها مباشرة فكما سبق أسلم ابن سهيل بن عمرو زعيم قريش فى المعاهدة وهو أبو جندل وخرج إلى النبى (ﷺ) مسلماً وآثار التعذيب فى جسده ظاهرة ورجلاه مقيدة بالحديد ومع هذا رده رسول الله إلى أبيه سهيل بن

(١) الطبقات الكبرى : للعلامة : محمد بن سعد : ج٢ - ص ١٤٠ ، ١٤١ ، تحقيق أ . د / حمزة النشرتى : والشيخ : عبد الحفيظ فرغلى ، د / عبد الحميد مصطفى ، ط: المكتبة القيمة .

عمرو وأوصاه النبى (ﷺ) بالصبر قائلاً له : أننى قد أمضيت مع القوم عهدا وأنا لا أنقضه فاصبر فعسى الله ان يجعل لك فرجاً ومخرجاً .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز " إن لنا فى موقف الرسول فى صلح الحديبية لنموذجاً حسناً لهذه الروح العالية فى التسامح والصفح فلا ، ينتهى الرسول (ﷺ) والمسلمون معه بالمفاوضة إلى صلح يجحف بشئ من حقوقهم ولكنه فى الوقت نفسه خير من انتصار باهر للحق تزهق فيه الأرواح وهذا حرص منه (ﷺ) على السلام من جانب الطرف الاقوى فهو لم يكتف بالرجوع مع جيشه من حيث أتوا وبتأجيل ما كانوا أجمعوا على أدائه فى ذلك العام من المناسك ولم يكتف بان رضى بتجريد اسمه من نصوص المعاهدة من كل لقب تشريفى هو أهله ولكنه فوق ذلك كله قبل مختاراً مقترحات المعاهدة التى لا يعامل فيها الطرفان على قدم المساواة بل تخول للقرشيين حقوقاً لا تخولها للمسلمين ناهيك بالشرط الذى يلزم المسلمين بإعادة من يلجأ إليهم فراراً من معسكر قريش بينما لا يلزم قريشا برد من ياتيها من المسلمين ونحن نعرف كم كان هذا الموقف البالغ الحد فى المسالمة مثيراً لاستفسارات الصحابة ولكن كل هذه المآخذ لم تكن لترجح كفة الحرب فى نظر قائدهم الأعلى ولم تكن لتعدل بهم طريق السلام الذى يحفظ به دماء الناس وأرواحهم .

مما سبق يتضح لنا : إن السلام فى الإسلام له مكانته العظيمة وهو فى الأرض هدف دعوته وأنشودة رسالته وإن لهذا السلام مفهوما فى التصور الإسلامى يستبان من خلاله ان كل تعاليم الدين وأموره التعبدية تهدف إلى قرار السلام ، سلام الإنسان مع نفسه ومع ربه ومع الآخرين بل ومع العالم الذى يحيط بنا .

فإلى المطلب الثانى :

مفهوم السلام في التصور الإسلامي ومظاهره :

لقد أرسل الله منذ بدء الخليقة رسله وأنبياءه بالوحي مبشرين ومنذرين هداية الناس إلى طريق الخير والنور ولإبعادهم عن الظلمات والغواية ونظراً لأن هؤلاء الأنبياء عليهم السلام كانوا حملة الرسالة الإلهية إلى الناس . فإن الإسلام يعترف بهم جميعاً والله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز قد بين انه هداهم وآتاهم الكتاب والحكم والنبوة وأمر حبيبه وخاتم أنبيائه بأن يقتدي بهم يقول الله تعالى (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ *(١) وبين هؤلاء الرسل جميعاً قاسم مشترك فدينهم الإسلام ودعوا في كل رسالاتهم إلى محبة الله لخلقه بدعوتهم إلى اتباع تعاليمه الاخلاقية والدينية من اجل خيرهم وسعادتهم في العاجل والآجل ، وتهدف هذه التعاليم كلها إلى جعل الناس يتجهون إلى طريق السلام وهو الطريق ذاته الموصل إلى مصدر السلام وهو الله ويمكن تلخيص التصور الإسلامي للسلام في صورة ثلاث دوائر متداخلة أما الدائرة الأولى : فإنها تتمثل في السلام

(١) سورة الانعام : الايات من : ٨٤ – ٩٠ .

النفسى الذى يحظى به الإنسان فى داخله وهذا السلام النفسى يكون ممكناً عن طريق **الدائرة الثانية** : وهى السلام مع الله كما يتمثل ذلك فى العقيدة الدينية الصحيحة ، وكلا الدائرتين تجعلان **الدائرة الثالثة:** ممكنة وهى التى تتمثل فى السلام مع الآخرين ومع العالم الذى يحيط بنا(١) .

أما عن الدائرة الأولى وهى السلام النفسى : فإنها منبع الخير كله حيث معها يشعر الإنسان بالأمان الذاتى يزدد دائماً صداه وتتتابع موجاته ويتواصل مده من غير جزر ولا انحسار داخل الإنسان وفى أعماقه ومن حوله وفى علائقه وصلاته وعلى مستوى الفرد والجماعة سواء بسواء، وبحيث تتشكل على ضوئه وهداه كل الأساليب والتصرفات والصلات وتتحدد على أساسه كل الحدود والفواصل بين الحقوق والواجبات وبين الأفراد والجماعات والأمم فى هوادة وتسامح ويسر من غير غلو ولا إسراف ولا تزمت، فالسلام الاجتماعى إذن والسلام العالمى ينبعان أولاً وقبل كل شئ من السلام النفسى والذاتى فى قرار النفس الإنسانية وأعماقها وهو ما يحرص عليه الإسلام الحرص كله ويتغياه من كل فرائضه وشعائره وتوجيهاته وبحيث تصب روافدها جميعا فى مصبه كما أن السلام النفسى الذى هو منبع السلام الاجتماعى والسلام العالمى، له مدلوله العام الشامل البعيد الأغوار والأعماق إنه يعنى أن يعيش المجتمع الإنسانى كله فى أمان وصلاح تهدأ معه الخواطر ويعم الوفاق وتفيض الموادعة " (٢) .

ذلك أن الأصل فى العلاقات بين بنى البشر جميعاً هو السلام والموادعة والتعاون .

---

(١) الإسلام وقضايا الحوار : أ.د / محمود حمدى زقزوق : وزير الأوقاف : ص ١٩٣ ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – ١٤٢٢ ، ٢٠٠٢ .

(٢) الحرب والسلام فى الإسلام : إعداد المكتب الفنى لنشر الدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية – الكتاب رقم ١٤ ص٨ بتصرف : ط : وزارة الأوقاف . ت : رجب ١٣٩٩هـ / يونيه : ١٩٧٩ م .

" وعلى هذا بنى الإسلام سياسته الإصلاحية فيما بين المسلمين بعضهم مع بعض ، وفيما بينهم وبين غيرهم من الأمم المختلفة " .

وبذلك كان السلام النفسى هو الحالة الأصلية التى تهيئ للتعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامة ، وهو بهذا لا يطلب من غير المسلمين إلا أن يكفوا شرهم عن دعوته وأهله وأن لا يثيروا عليه الفتن والمشاكل ، ويأبى الإباء كله أن يتخذ الإكراه طريقاً للدعوة إليه ونشر تعاليمه " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " . (١)

وإذا احتفظ غير المسلمين بحالة السلم والسلام ، فهم والمسلمون فى نظر الإسلام إخوان فى الإنسانية يتعاونون على خيرها العام ولكل دينه يدعو اليه بالحكمة والموعظة الحسنة دون إضرار ولا انتقاص لحق أحد والإسلام لا يخرج عن هذا الوضع الطبيعى إلا إذا امتدت إليه يد العدوان ووضعت امامه العراقيل وأخذت فى فتنة الناس عنه بالإيذاء والتنكيل وهنا فقط يؤذن لأهله أن يردوا العدوان بالعدوان إقراراً للسلام الذى هو أصل فى العلاقة بين الناس جميعاً فى دين الإسلام " (٢) .

أما عن الدائرة الثانية : وهى السلام مع الله والثالثة : وهى السلام مع الآخرين فإن هذا يكون عن طريق العقيدة الدينية الإسلامية الصحيحة والتى تهيئ للإنسان المناخ الذى يستطيع فيه أن يتوائم مع ذاته ومع العالم الذى يعيش فيه .

فالإسلام فى حقيقته يعنى إسلام المرء وجهه إلى الله وبهذا التوجه يكون المسلم قادراً على أن يسلك الطريق إلى تحمل مسئولياته وأداء واجبه الحقيقى، والعقيدة الدينية تحمله واثقاً من العون الإلهى ومن

---

(١) سورة يونس : الآية رقم : ٩٩ .

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة : للإمام الشيخ / محمود شلتوت : يرحمه الله ص ٤٣٥ – ط : الشروق : الطبعة السادسة عشرة – ت : ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

هنا يكون قادراً على تذليل الصعاب والانتصار على كل العقبات ، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى صنع السلام .

والإسلام يبين لنا أن الطريق إلى السلام طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ، وكل إنسان يسعى إلى السلام لا يستطيع أن يفعل ذلك فى حقيقة الأمر إلا إذا هيأ المناخ المناسب للسلام ، بمعنى أن يجعل له مكاناً فى حياته ، وهذا يعنى أنه يتحتم عليه أن يسمح أيضاً للآخرين المشاركين له فى الإنسانية أن يكون لهم نفس الهدف ، وإذا كانت فرصة للتلاقى فعليه أن يحاورهم بالحسنى ولا يصارعهم ، فإذا لم يفعل فإنه يكون قد تخلى عن طريق السلام الذى يدعودينه إليه ويعظمه كما سلف– وهذه الفكرة توضح لنا أن السلام ليس فقط هدفاً مشتركاً لكل الناس ، إنما هو فى الوقت نفسه أيضاً الطريق الوحيد لبلوغ السلام ، فهو هدف وطريق فى الوقت نفسه .

والسلام طبقاً للتصور الإسلامى يعد عملا من اعمال الإنسان ، وفى الوقت نفسه يعد نعمة من نعم الله على البشر ، وقد وصف الله نفسه فى القرآن بانه السلام والمصطلح العربى للسلام مشتق من الأصل ذاته الذى أشتق منه لفظ الإسلام ، فهناك تطابق تام بين الإسلام والسلام ، وتحية المسلمين فيما بينهم : هى السلام ، كما أن المسلمين يتجهون فى نهاية كل صلاة من الصلوات الخمس اليومية بنفس التحية يميناً وشمالاً ، الأمر الذى يرمز إلى نصف العالم يميناً ونصفه الآخر شمالاً ، ويعبر عن أمنية المسلمين بالسلام للعالم كله (١) .

هذا عن مفهوم السلام فى التصور الإسلامى أما عن مظاهره فهى كثيرة نختار منها الآتى :

١- جواز المعاهدات مع الآخرين .

---

(١) الإسلام وقضايا الحوار : د / رمزوق – ص : ١٩٤ ، بتصرف سابق .

٢ – قبول الحوار مع الآخر .

اما عن المظهر الاول وهو : جواز المعاهدات مع الآخرين : فحينما قال الله تعالى : (وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) (١) استثنى من هذه البراءة من كان بينهم وبين المسلمين عهد بقوله : (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (٢) ان هذا يعنى – والله أعلم – أن الله برئ من المشركين ورسوله كذلك برئ منهم ولكن الذين عاهدتموهم وثبتوا على عهدهم ولم ينقضوه ولم يعينوا احداً من أعدائكم عليكم ، فلا تنقضوا عهدهم بل أتموه إلى غاية مدته .

ولكن الإسلام الذى يجوز المعاهدة مع الآخرين يشترط شروطاً يجب أن تتوفر فى المعاهدة حتى تكون صحيحة ومشروعة وهاكم هى :

(١) ألا تمس قانونه الأساسى وشريعته العامة التى بها قوام الشخصية الإسلامية ، وقد جاء فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : " كل شرط خالف كتاب الله فهو باطل (٣)" ومعناه أن كتاب الله يرفضه ويأباه .

ومن هذا الشرط لا يعترف الإسلام بشرعية " معاهدة " تستباح بها الشخصية الإسلامية ، وتفتح للأعداء باباً يمكنهم من الإغارة على جهات إسلامية ، أو يضعف من شأن المسلمين بتفريق صفوفهم وتمزيق وحدتهم .

---

(١) سورة التوبة : من الآية رقم : ٢ .

(٢) سورة التوبة : الآية رقم : ٣ .

(٣) صحيح البخارى بحاشية السندى ج١ – ص ١٢٣ ك الشروط . ب : مالا يحل من الشروط التى تخالف كتاب الله – ط – ط دار احياء الكتب العربية بدون تاريخ .

(٢) أن تكون مبنية على التراضى من الجانبين : ومن هنا لا يرى الإسلام قيمة لمعاهدة تنشأ على أساس من القهر والغلبة وأزيز " النفاثات " وهذا شرط عليه طبيعة العقد ، وإذا كان عقد التبادل فى سلعة ما بيعاً او شراء لابد فيه من عنصر الرضا (إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ)(١) فكيف بالمعاهدة وهى للأمة عقد حياة أو موت.

(٣) أن تكون المعاهدة بينة الاهداف واضحة المعالم ، تحدد الالتزامات والحقوق تحديداً لا يدع مجالاً للتاويل والتخريج واللعب بالألفاظ، وما أصيبت معاهدات الدول المتخضرة – التى تزعم انها تسعى إلى السلام وحقوق الإنسان – بالإخفاق والفشل ، وكانت سبباً فى النكبات العالمية المتتابعة إلا عن هذا الطريق ، طريق الغموض والالتواء فى صوغ المعاهدات وتحديد أهدافها ، وفى التحذير من مثل هذه المعاهدات يقول الله تعالى : (وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٢) . والدخل هو الغش الخفى يدخل فى الشئ فيفسده .

وعليه فإن المعاهدة إذا تمت على هذا الوجه مستكملة شروطها ، وحافظ عليها الطرف الاخر ، ولم تبد من جانبه نية الخيانة ، كان الوفاء بها واجباً دينياً ، يسأل عنه المسلم فيما بينه وبين الله ويكون الإخلال بها غدراً وخيانة ، أما إذا اخل الطرف الأخر بشئ من التزاماته ، أو ظاهر علينا الأعداء بالمال أوالسلاح أو بالرأى والتدبير ، أو هاجم هو أو حلفاؤه ، حلفاءنا فإن المعاهدة تفقد حرمتها ويجب مهاجمته ورد بغيه دون إنذار أو إعلان ، وكذلك إذا كانت قد وضعت فى ظروف خاصة ، ثم تغيرت تلك الظروف وصار العمل بها يوقع الامة فى مفاسد تربو على ما فى

(١) سورة النساء : اية رقم : ٢٩ .
(٢) سورة النحل : اية رقم : ٩٤ .

المعاهدة من خير وصلاح ، فإن المعاهدة فى هذه الحالة ، تفقد حرمتها ، ولكن الإسلام يوجب على أتباعه فى مثل هذه الحالة ، أن يعلنوا الطرف الآخر بنبذ المعاهدة ولا يسمح بالمهاجمة إلا بعد وصول نبأ النبذ إلى العدو (١) .

يقول الله تعالى : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ (٢) يقول ابن كثير : فى شرحه للآية الكريمة يقول تعالى لنبيه (وإما تخافن من قوم) أى عاهدتهم على سواء أى أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك ، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء ، أى تستوى أنت وهم فى ذلك " (٣)

وفيما سبق يتبين لنا أن كون الإسلام يبيح المعاهدة مع الآخرين ويجوزها فإن هذا يعد مظهراً من مظاهر السلام لانه عن طريق المعاهدة يكون حقن الدماء وخلو كل فريق من المتعاهدين لأموره ، فتنعم الأرض بالوئام وينعم أهلها بالسلام .

ولكن الإسلام الذى يجوز المعاهدة مع الآخرين يشترط لها شروطا سلفت ، فإذا نقض منها شرط تفقد المعاهدة حرمتها ، وبعد ذلك ننتقل لذكر أشهر المعاهدات التى تمت فى الصدر الأول ونرى أن أول هذه المعاهدات ، عهد الحديبية وقد سلفت وقد مضى النبى وصحبه على رعاية عهد قريش المبرم فيها حتى نقضته قريش فأصبح المسلمون فى حل من نقض العهد وفتحوا مكة بعدها بقليل (٤) وثانيها عهد سيدنا

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة : ص : ٤٥٦ ، وما بعدها ، سابق .

(٢) سورة الانفال : آية رقم : ٥٨ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير : ج٢ – ص١١٤ ، اختصار وتحقيق : الأستاذ / محمد على الصابونى . ط : دار الصابونى . السابق بدون تاريخ .

* ينظر ص ٩٦٠ من البحث .

عمر رضى الله عنه لأهل إيلياء بيت المقدس بعد فتح الشام وفيه يقول الخليفة العظيم : " أنه أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، وإنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقض منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شئ من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار على أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وأن يخرجوا منها الروم ، ومن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام معهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بينه وبين صلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم " .

وقد حدث أثناء التعاهد على هذا الصلح حادث كحادث أبى جندل عند كتابة صلح الحديبية كما سبق (١) فحان موعد الصلاة والخليفة العظيم فى كنيسة بيت المقدس ، ولا مانع عند المسلم من إقامة الصلاة فى الكنائس أو فى معابد الأديان غير الإسلام إذ أينما تكونوا فثم وجه الله ولكنه أشفق أن يقيم الصلاة فى مكان فيحرص المسلمون بعده على احتجاز ذلك المكان الذى صلى فيه أمير المؤمنين ، فخرج من الكنيسة ، وصلى فى جوارها، ولم يبح لنفسه أن يورط أتباعه فى ذريعة يتعللون بها لمخالفة عهد من عهوده .

وكلا العهدين عهد مكة – عهد الحديبية السابق – وعهد بيت المقدس يفند زعم الزاعمين أن الإسلام يعتمد على الإكراه فى نشر دعوته (٢) .

** ينظر ص ٩٦٠ من البحث .

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه : للأستاذ عباس العقاد ص ٢١١ ، ط : نهضة مصر .

وإلى المظهر الثاني من مظاهر السلام في الإسلام وهو:

٢ – قبول الحوار مع الآخر :

إن الحوار هو أسلوب يجرى بين طرفين يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به ، ويراجع الطرف الآخر في منطقه وفكره قاصدا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره (١) .

ومن الطبيعي جداً في حياة البشر أن يختلفوا في وجهات النظر ويتباينوا في الآراء والأفكار وهذا ليس عيباً علمياً ولا خطأ منهجياً بل هو في الحقيقة خطوة جادة في طريق تصحيح المفاهيم والوصول إلى الحقيقة فليس من الشر أن يختلف الناس في مفاهيمهم ولكن الشر في الاستمرار في الخطأ والإصرار عليه (٢) .

والحوار مع الآخر والذي يعد مظهراً من مظاهر السلام في الدين الإسلامي يقصد به من الناحية التنظيرية حوار الحضارات أو حوار الشمال والجنوب أو الحوار العربي الأوربي والحوار الإسلامي المسيحي أو حوار الشرق والغرب وكلها مصطلحات وعناوين لموضوع واحد هو الحوار بين الأديان والحضارات المختلفة التي تعتمد ثقافات متفاوتة في نظرتها إلى الكون والوجود وهو موضوع جدير بالاهتمام عسى أن ينتقل الأمر فيه من مرحلة الفهم والاقتناع إلى مرحلة التعاون على العمل المشترك بين جميع المعنيين باقتلاع جذور الأحقاد بين الشعوب... وهذا النوع من الحوار وإن أخذ مسميات حديثة فإنه قديم قدم وجود الشعوب ذات الحضارات المتجاورة حيث كانت تلك الشعوب تتبادل المعارف والخبرات وأنماط الحياة من قيم وسلوك وتقاليد من طريق التفاعل العفوي الطبيعي بحيث أصبحت بمجملها جزء من مفردات

---

(١) الحوار الذات والآخر : د / عبد الستار الليثي – ص ٤٠ ، كتاب الأمة عدد ٩٩ محرم ١٤٢٥ هـ .

(٢) السابق : ص ٤٧ .

نسيجها الاجتماعى دون قصد بفعل التواصل الحضارى على مدى الأزمان المتعاقبة (١).

وهذا فى حقيقته يمثل طرفا من المفهوم الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (٢) حيث اقتضت حكمته تعالى ان يخلق الناس مختلفين ومتفاوتين ، وأن يظلوا كذلك ربما من أجل تحقيق التعارف والتبادل والحوار بين بنى البشر (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ) (٣).

وهكذا استمرت العلاقات بين الامم والشعوب على ربا هذه المعمورة مضطربة مرة ومتفقة مرة اخرى بحدوها الأمل فى إقامة علاقات حسنة تقوم على اساس التفاهم والاحترام المتبادل (٤).

ولن يتحقق هذا الامل الذى يجمع العالم كله على أساس التفاهم والاحترام المتبادل الا عن طريق الدين الإسلامى ، وليس دافعى فى هذا الكلام كونى مسلما بل لامرين **الأول** : أن الدين الإسلامى هو الدين الذى احترم حقوق أهل الديانات الاخرى ، **الثانى** : أن من يدينون به يعترفون بكل النبوات والرسالات .

أما عن الامر الأول وهو : حقوق أهل الديانات الأخرى فى الإسلام: فقد أبانها القرآن الكريم فى قوله تعالى : (**فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ**

---

(١) نحن والآخر ... صراع وحوار للاستاذ / ناصر الدين الأسد – ص ٦٩ ط: بيروت – أولى – ت ١٩٩٧ نقلا عن المرجع السابق ص ١٤٥ .

(٢) سورة الحجرات : اية رقم : ١٣ .

(٣) سورة هود : اية رقم : ١١٨، ١١٩ .

(٤) الحوار الذات ... والآخر : د / عبد الستار الهيتى – ص ١٤٦ سابق .

فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ)(١) بمعنى أنه إذا كانت بينكم شراكة طبيعية فى كل شئ (غير محرم فى ديننا) ولا يصطدم مع ما تعبدنا الله به فتعاملوا معهم بالبر والقسط والرحمة والعدل وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى فى قوله تعالى : (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (٢) فالمولى عز وجل لا يمنع أن يكون هناك بر ولين وعدل (مع من لم يقاتلنا فى الدين وفى الأرض ولم يتآمر علينا ويثبت لنا ذلك باليقين الجازم) ويقول الله تعالى : (**ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون**) (٣) .

كما كان هذا المبدأ هو الذى يوجه سلوك الرسول مع غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى سواء كانوا يهوداً أو نصارى فحين هاجر الرسول إلى المدينة المنورة أقام أول وحدة وطنية فى العالم مع يهود المدينة وكانت تسمى ميثاق المدينة أو صحيفة المدينة وبموجبها أعطى لليهود حق المواطنة وأعطاهم كل الحقوق مثل إخوانهم المسلمين كما نص الميثاق على أنه إذا وقع اعتداء على المدينة يهب الجميع للدفاع عنها واستمسك الرسول بالعهد ولكن اليهود خانوا العهد ، وكذلك فإنه فى عام الوفود عام ٩ هجرية حين جاء وفد نصارى نجران إلى الرسول فإنه أقامهم فى مسجد قباء * ووجه كلا منهم إلى ممارسة صلواتهم وعباداتهم وكلف الصحابيين عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب رضى الله

---

(١) سورة التوبة : آية رقم : ٧ .

(٢) سورة الممتحنة : آية رقم : ٨ .

(٣) سورة المائدة : آية رقم : ٢٨ .

* دخل نصارى نجران بثياب حسنة مسجد قباء بالمدينة ، ومارسوا صلواتهم وعباداتهم : البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج٥ ، ص : ٥٦

عنهما ليقوما على خدمتهم وحراستهم وعندما قالوا لرسول الله لا نريد الدخول فى الإسلام قال لكم ذلك [وهذا يؤيد عدم اجبار احد على الدخول فى الإسلام بل يمكنه العيش فى أمان وطمأنينة فى دولة الإسلام].

أما خطاب الرسول لمقوقس مصر فقد كان وثيقة هامة تؤكد حرص الإسلام على حق الآخر فى الاختيار وفى حرية العقيدة (١) .

أما عن الأمر الثانى : وهو اعتراف المسلمين بكل النبوات والرسالات : فيحدثنا عنه المفكر الإسلامى الدكتور محمد عمارة فيقول: فى هذا المقام يحسن ان يتذكر الجميع ان السماحة مع الآخر والاعتراف به ذابت مع الإسلام ولم يكن لها وجود قبل الإسلام وعلى سبيل المثال قبل مجئ الإسلام اباد اتباع إخناتون اتباع امون ، فلما انتصر اتباع امون ابادوا اتباع إخناتون ، وعندما جاءت النصرانية المصرية مارست ضد الوثنية وفلاسفتها ومكتباتها ومعابدها صنوفا كثيرة من الاضطهاد أما عندما جاء الإسلام فقد تغيرت الصورة تغيرا جذريا لا لمجرد سماحة الحكام المسلمين وانما لأن الإسلام وحده هو الذى يعترف بالآخر ولأن المسلمين وحدهم هم الذين يؤمنون بكل النبوات والرسالات والكتب والشرائع ويصلون ويسلمون على كل انبياء الله ورسله لا نفرق بين أحد من رسله بينما اليهودية مثلا لا تعترف بأى اخر ولقد بادلتها النصرانية إنكارا واضطهادا باضطهاد وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (٢)

بينما الإسلام هو الذى يقول قرآنه عن الإنجيل (**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ**

---

(١) حقوق اهل الديانات الاخرى مقال للشيخ : محمود عاشور ، وكيل الأزهر سابقا بجريدة الأهرام المصرية – ت الجمعة ١٤ / يناير / ٢٠٠٥ . ٣ من ذى الحجة ١٤٢٥ ، مع ملاحظة أن ما بين الاقواس تدخل من عندى .

(٢) سورة البقرة : آية رقم : ١١٣ .

الإنجيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ) (١) وعن التوراة (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ) (٢) .

وصورة موسى عليه السلام وأنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام كصورة محمد (ﷺ) وكذلك صورة عيسى ومريم عليهما السلام ، اما صورة محمد عند الاخرين فيعرفها الجميع ويقول القرآن الكريم : (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ) (٣) ونقرأ فى القرآن الكريم: (وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ) (٤) بينما ليس هناك اخر يعترف بالقرآن وحياً ولا بمحمد رسولاً ونبياً ولا بالإسلام دينا سماويا .

ويضيف الدكتور عمارة قائلاً :

لقد وضع الإسلام الاعتراف بالآخر وحقوقه موضع الممارسة والتطبيق طوال تاريخ الإسلام فعاشت كل الديانات السماوية وأيضاً الوضعية فى الدول الإسلامية يحافظ المسلمون على حقوق أهلها فى إقامة عقائدهم التى تنكر الإسلام ويحافظون على مقدساتهم والقدس الشريف شاهد على ذلك ففى ظل الحكم الإسلامى عاشت كل مقدسات الديانات مصانة مثلها مثل المسلمين بينما عندما جاء الصليبيون حولوا المسجد الأقصى إلى إسطبل للخيول وكنيسة لاتينية ويقوم الإسرائيليون الآن بتهويدها . والفتح الإسلامى لمصر هو الذى حرر كنائس الأقباط من الاحتلال والاغتصاب الرومانى ولم يحولها إلى مساجد وإنما ردها إلى نصارى مصر ليتعبدوا فيها وهو الذى انقذ النصرانية المصرية من الإبادة الرومانية وشهد بذلك المؤرخون النصارى من المصريين والأجانب .

---

(١) سورة المائدة : آية رقم : ٤٦ .

(٢) سورة المائدة : آية رقم : ٤٤ .

(٣) سورة المائدة : آية رقم : ٤٧ .

(٤) سورة المائدة : آية رم : ٤٣ .

إذن فالإسلام وحده هو الذى يعترف بالآخر ليس فقط اعترافا نظريا وإنما فى الممارسة والتطبيق بينما الغرب شاهد حروبا دينية بين الكاثوليك والبروتستانت أبيد فيها (٤٠) ألفاً من شعوب وسط أوروبا ويحصيهم فولتير فيقول : إنهم عشرة ملايين أبيدوا فى حرب بين مذهبين داخل دين واحد .

كيف يتم تصحيح مفاهيم الاخر إذن ؟

والجواب هو : أن نقدم للآخر الصورة الحقيقية لعلاقة الإسلام به علاقة البر والعدل واحترام إنسانيته ، ويمضى الدكتور عمارة فى حديثه قائلاً : لقد بدأ البعض يطرح مشروعا إسلاميا يجمع بين طرفى الامة من مسلميها ومسيحيها كما اننا نتحدث فى مشروع الوسطية والاعتدال ، وعن مشروع الأمة الذى أشرك المسيحيين وغيرهم فى بناء الحضارة فالمشروع الإسلامى هو طوق النجاة للأمة أمام الغزو الثقافى لذا يجب أن يدرك الغرب أننا والمسيحيون نعيش فى وطن واحد ونتحدث لغة واحدة ونسيجنا واحد وهويتنا واحدة ومصرنا هى خير مثال على وحدة المسلمين والاقباط فى تعايش سلمى أخوى لهم دينهم ولنا ديننا (١).

مما سبق يتبين لنا أن الحوار مع الآخرين مطلوب وان مرجعيات المسلمين تحثهم على هذا الحوار وفى ذلك يقول الله تعالى : (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**) (٢)

---

(١) هكذا نوضح الحقيقة للغرب : مقال للدكتور / محمد عمارة : بجريدة الأهرام المصرية – ص ٤٠ بتصرف – عدد الجمعة ١٤ يناير / ٢٠٠٥ من ذى الحجة ١٤٢٥

(٢) سورة ال عمران : آية رقم : ٦٤ .

وقد حدد القرآن الكريم منهج هذا الحوار والذي يجب أن تتصل حلقاته بين الأديان يقول الله تعالى : (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (١) فالآية السابقة تحثنا على احترام عقول الآخرين ومحاورتهم حوارا مضبوطا بأدب الإسلام مفعم بالتفاهم مع أتباع الأديان الأخرى ، وبالتفاعل معها ومع حضارتها، والتفاعل الحضارى مبدأ قرآنى محض : يقول الدكتور عبد الستار الهيتى: ويستند التفاعل الحضارى فى مفهوم الإسلام إلى مبدأ التدافع الحضارى وليس إلى فكرة الصراع الحضارى وهو المبدأ القرآنى المحض الذي نجد له اصلا فى قوله تعالى : (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ) (٢) وفى قوله تعالى : (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (٣).

فالتفاعل فى الإسلام عملية تدافع لا تنازع ومحاور لا تناحر بمعنى أن كل أمة تدفع الاخرى وتتنافس معها نحو الأفضل والاحسن لأن التفاعل يفيد استمرار الحياة والتصارع يؤدى إلى الفناء ، وبهذا يكون التفاعل الحضارى حوارا دائما ينشد الخير والحق والعدل والتسامح للإنسانية بغض النظر عن وجهاتها الفكرية والأيدولوجية وهكذا فإن الحوار المبنى على التسامح والتفاهم مع أتباع الأديان الاخرى يعد واجباً على المسلمين الذين استناروا من سماحة دينهم وتعلموا من آدابه أن يحسنوا معاشرة اصحاب الأديان الأخرى ممن لا يكيدون لهم كيداً ولا

(١) سورة العنكبوت : اية رقم : ٤٦ .
(٢) سورة البقرة : اية رقم : ٢٥١ .
(٣) سورة فصلت : اية رقم : ٣٤ .

يظاهرون عليهم عدواً ويمكنهم أن يعيشوا معهم فى صفاء وتعاون على المصالح الوطنية .

وبعد أن أظهرت مفهوم السلام فى الإسلام ثم ذكرت نماذج من مظاهره تفصيلاً أقول : إن هناك مظاهر أخرى للسلام فى الإسلام منها على سبيل الإجمال :

(١) موقف الإسلام من الاسرى وأهل الذمة مظهر من مظاهر السلام .

(٢) الفتوحات فى الإسلام مظهر من مظاهر الإسلام .

(٣) قبول غير المسلمين فى الوظائف الرسمية فى داخل الدولة المسلمة .

(٤) المساواة بين المسلمين وغيرهم فى القضاء والحقوق (١)

وبعد ذلك أنتقل إلى المطلب الثالث وهو : الطريق إلى السلام فى دعوة الحق : فإليه :

---

(١) من اراد المزيد من التفصيل حول هذه المظاهر : فليطالع مؤلف أستاذنا الدكتور / أحمد الحوفى – عثارات من ساحة المسلمين – ص ٢٤ وحتى ص ٥٦ ، وعثارات من تراث فضيلة الشيخ /محمد الخضر حسين – هدية مجلة الأزهر عدد ربيع الأول ١٤٢٢ هـ ص ٤٠ وحتى ص ٥١ .

المطلب الثالث

الطريق إلى السلام فى دعوة الحق

إن دعوة الحق هى الدعوة إلى الله على بصيرة وقد احتوت هذه الدعوة على كل ما يسعد الإنسان فى عاجله وآجله ، حيث إن مصدرها ومعينها من القران والسنة يدعوان إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور وبالتالى سعادتهم ، ومن سعادة الإنسان أن يعيش فى أمن وأمان وسلم وسلام مع نفسه ومع ربه ومع الآخرين من حوله ، والذى تتداح دائرتهم لتشمل كل العالم من حوله شرقا وغرباً وشمالا وجنوبا ؛ لهذا ضمت الدعوة إلى الله تعالى كل الطرق المؤدية إلى الفلاح ومن بين هذه الطرق طريق السلام والذى له نقطة بداية وانطلاق هى الفرد المسلم " ففى دين الله الإسلام يعد الفرد المسلم هو نقطة الانطلاق إلى السلام إذا ما كان سعيه نحو السلام ليس فقط لنفسه بل أيضا للعالم من حوله معتمدا على الثقة فى أن مصدر كل السلام وهو الله سبحانه وتعالى سيمنحه القوة الروحية على الكفاح من أجل السلام ، والعقل الإنسانى الذى هو منحة من الله يمثل أكبر عون للإنسان فى تحمل مسئولية هذه المهمة الكبرى ، إذا ما أتاح الإنسان لهذا العقل الفرصة فى ممارسة دوره كاملا فى الحياة وقد طلب القرآن من الإنسان أن يستخدم عقله فى التفكير فى ذاته وفى العالم من حوله وفى تاريخ الإنسانية وفى هدفها : والقرآن الكريم يبين لنا أن الله عندما خلق الإنسان نفخ فيه من روحه يقول الله تعالى : (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) (١) ومن هنا فإن الإنسان الذى يتبع هذه الروح فى داخله يكون سائرا على طريق الله ، وذلك لأن هذه الروح حينئذ تدفعه إلى إقرار مبدأى العدل والرحمة اللذين هما من صفات الله

---

(١) سورة السجدة : آية رقم : ٩ .

تعالى وليس الأمر إقرار قولى فحسب ، وإنما لابد أن يظهر أثر ذلك فى الأعمال الصالحة من أجل الدفاع عن المظلومين والمضطهدين من البشرية ، ومن أجل العالم من حولنا إذ بدون ذلك لا تستطيع البشرية أن تستمر فى الوجود، وفى هذا الصدد يرشدنا القرآن الكريم إلى مبدأ الخلق فيشير إلى أن الناس جميعا قد خلقوا فى الاساس من نفس واحدة يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(١) .

ومن هنا فالإنسان الذى يقدم الخير لإنسان آخر فإنه بفعله هذا يكون قد قدم الخير لجزء من كيان نفسه هو ، حيث إن الله عزت قدرته خلقنا جميعا من نفس واحدة ومن ثم يبين القرآن الكريم أن من قتل إنسانا آخر دون وجه حق فكأنه قتل الناس جميعا وفى المقابل من يكون سببا فى حياة نفس وطمئنتها وتوفير عيش آمن لها فكأنه أحيا وقدم الخير للبشرية كلها (٢) .

يقول الله تعالى : (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (٣) وعلى ضوء ما سبق يظهر لنا أن الطريق إلى السلام هواتباع أوامر الله ونواهيه حيث يؤدى هذا إلى السلام النفسى والسلام مع الله ومع العالمين ، وهذا يتضح فى سلوك الفرد المسلم الذى يعد نقطة البداية نحو السلام بما تعبده الله به من فرائض كلها ممارسات عمليه تطبيقية للسلام ففى الحج إلى بيت الله

---

(١) سورة النساء : اية رقم : ١ .

(٢) الإسلام والحوار : د / زقزوق – ص ١٩٥ ، وما بعدها بتصرف سابق .

(٣) سورة المائدة : اية رقم : ٣٢ .

الحرام ، يحرم على المسلم أن يقتل حيواناً أو يهيج طيراً أو يقطع نباتا أو يؤذى إنسانا بيد ولا لسان ، يقول الله تعالى : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)(١)

وعبادة الصوم يتعود المسلم فيها على السلام وممارسه عمليا فلا يرفث ولا يصخب وإن امرؤ نال منه لا يقابله بالمثل بل يجيبه بهذه الإجابة التى يبدو منها السلام " اللهم إنى صائم " وهذه تربية عملية على تذوق حياة السلام والتى تنعكس آثارها الإيجابية على المجتمع سلاما وأمنا وليعلم كل البشر أنهما (**السلام والأمن**) لن يكونا إلا تحت مظلة دين واحد هو الإسلام، فليس فى الدنيا شريعة ولا نظام يفرض على أتباعه رياضة أنفسهم على السلام إلا الإسلام ، فقد قرر الإسلام مبدأ الإخاء بين الناس ودعا إلى القضاء على روح التعصب ، وطبع النفوس بروح التسامح الكريم وأمر بالوفاء وحرم الغدر وطالب باحترام العهود والمواثيق كما سبق أن أشرت وكل هذا رياضة للنفس على السلام وإذا كنا بينا آنفا أن نقطة البداية نحو السلام هى الفرد المسلم فإننا نستطيع أن نقول أن الإسلام كدين هو الذى جعل الفرد المسلم نقطة الانطلاق نحو السلام ومن ثم فالدين الإسلامى هو الطريق إلى السلام ولكن أى سلام يكون الإسلام طريقه إنه السلام المضبوط بضوابط وآداب تجعله سلاما عادلا رحيما لا استسلاما مخزيا جائرا فإلى هذه الضوابط من خلال المطلب اللاحق .

---

(١) سورة البقرة : آية رقم : ١٩٧ .

المطلب الرابع

ضوابط السلام فى الإسلام

من المسلمات البديهية أن دين الله الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ومن أجل هذا كانت كل أوامر الله – تعالى – مضبوطة بميزان دقيق ، لا إفراط فيها ولا تفريط ، حتى تؤتى ثمارها وتظل المجتمع بظل وارف من العدالة بكل صورها ، والرحمة بكل شمولها ومن بين هذه الأوامر أمر الله لعبادة المؤمنين بالجنوح إلى السلام " الميل إليه " ولكنه المحاط بضوابط لا تسمح بأى خرق أو نافذ ينعكس سلبا على مجتمع حزب الله الغالب ، وهذه الضوابط هى :

١- أن يكون السلام من موطن القوة لا من موطن الضعف:

وهذا واضح من التجاور بين الآيتين الكريمتين من سورة الأنفال ، فالله يأمر المسلمين ويطالبهم بإعداد القوة فى قوله تعالى : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)(١) .

إن الله تعالى فى الآية الكريمة يأمر عباده المؤمنين بإعداد القوة لا لرغبة منهم فى شن الحرب وإنما ليرهبوا به الأعداء ، ويصونوا السلم العام ، ومن ثم جاورت هذه الآية التى تأمر بإعداد القوة ، الآية التى تدعو إلى الميل نحو المسالمة ومتاركة الحرب فى دعة رقيقة كحركة جناح يميل إلى جانب السلم ويرخى بريشه فى وداعه نحوه كل هذا وغيره الكثير

---

(١) سورة الأنفال : آية رقم : ٦٠ .

مستوحاً من قول الله تعالى (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(١) فمع القوة التى أمر الله المسلمين بإعدادها ، إن حدث ظرف مال فيه أعداؤهم إلى السلم ، فليستجب المسلمون وليميلوا ناحية السلام ، لأنهم أهله وذووه وهنا يكون السلم من موطن القوة لا من موطن الضعف (٢) – الاستسلام – وهو منهى عنه بقول الله تعالى (فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ) (٣) وهذه حكمة من حكم العلى الكبير – سبحانه وتعالى – فى التجاور والتلاصق بين النعمتين ، نعمة القوة ، فى آية إعدادها ، ونعمة السلام فى آية الميل إليه والجنوح .

هذا وليعلم القاصى والدانى أن سلام الإسلام ليس عن عجز ولا ضعف وهو حين يمد به يده لا يمدها عن هوان ولا مذلة ، ولا عن قصر فى النفس أو قصور فى الإمكانات والطاقات والقدرات فقوته وعزته وطول باعه وضخامة إمكاناته وطاقاته كل هذه بحمد الله ميسورة مذخورة بل وأكبر من أن تمد بفضل مبادئه وقيمه التى يبنى بها النفوس ويشحن بها المعنويات وينهض بها أتباعه أفراداً وجماعات ، ولا يخفى أمر قوتهم على قراء التاريخ فى القديم والحديث ، متى كانوا فعلاً على مستوى دينهم واضعين يدهم فى يده متمسكين بمبادئه فهم حينئذ يصبحون حديث الدنيا والدين .

٢ – الوفاء بالعهود : –

إن الوفاء بالعهد مرتبط تماما بالسلام إذ الأخير لا يمكن استقراره إلا بالمعاهدات والمواثيق .

---

(١) سورة الأنفال : آية رقم : ٦١ .

(٢) فقه المسؤلية فى الإسلام : د / على عبد الحليم محمود – ص ٢٨٧ – ط : دار التوزيع والنشر الإسلامية اولى ت / ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

(٣) سورة محمد : آية رقم : ٣٥ .

والأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق فى الدولة المسلمة مؤيد بالنصوص القرآنية يقول الله تعالى : (**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون**) (١) .

ففى الآية الكريمة ما يؤكد وجوب الوفاء بالعهد ما يلى :

[أ] الأمر المباشر بالوفاء بالعهد (وأوفوا بعهد الله) .

[ب] النهى المباشر عن نقضها (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها).

[ج] الله القادر المحيط هو الذى يراقب فى قلوبكم وسلوككم الوفاء بالعهد(وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) .

هذا إذا لم ينقض الأعداء العهد فذا نقضوا العهد حل قتالهم وفى ذلك يقول الله تعالى : (**الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**) (٢) فالآية توضح أن كل من ينقض العهد ولا يحترم المواثيق يحل قتالهم وكذلك كل من أنبأت سلوكياته عن نقض العهد أو عن خيانة للمسلمين المعاهدين لهم ، فالواجب على المسلمين أن يعلموهم بأنهم قد نقضوا العهد معهم حتى يكونوا على علم بانكشاف أمرهم ومن ثم تصبح القيادة الإسلامية فى حل من أمرهم يقول الله تعالى : (**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ**) (٣) .

---

(١) سورة النحل : اية رقم : ٩١ .

(٢) سورة الأنفال : اية رقم : ٥٦، ٥٧ .

(٣) سورة الأنفال : اية رقم : ٥٨ .

٣ – التعاون الإنساني بين المتعاهدين : –

إن الإسلام دين ذو طابع إنساني عام لأنه الدين الذي صرحت نصوصه بأن التعارف بين الناس هو الحكمة الإلهية من خلق الناس وجعلهم شعوباً وقبائل يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(١)

وفرق شاسع بين الإسلام وغيره من النظم الوضعية الدولية في النظرة إلى التعاون والتعارف فالإسلام يأمر بالتعاون والتعارف على وجه الإطلاق بلا أي مصلحة تعود على المجتمع المسلم سوى التعارف والتعاون وهي الحكمة من جعل الناس أفراداً وجماعات وشعوباً وقبائل ، وما قيد هذا الإطلاق إلا بأن يكون تعاوناً على البر والتقوى وألا يكون تعاوناً على الإثم والعدوان حسب قول الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (٢) .

أما النظم والشرائع الغربية الوضعية فإن التعاون والتعارف لا يتم فيها إلا سعياً وراء مصالح قد لا تتفق وإنسانية الإنسان فقد يكون التعاون بين دولتين لإبادة أخرى بالرغم من أنه قد يكون الجميع تربطه عقيدة واحدة (٣)

ومما سبق يتضح لنا أن الإسلام يعظم السلام ويدعو له في كل تعاليمه ولكنه السلام المضبوط بالضوابط التي ذكرت انفاً ، ولما كان الإسلام دين الله للعالمين يخاطب الإنسانية في كل زمان ومكان (وَمَا

(١) سورة الحجرات : آية رقم : ١٣ .
(٢) سورة المائدة : آية رقم : ٢ .
(٣) فقه المسئولية في الاسلام : ص ٢٩١ بتصرف .

أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (١) لا لقريش وحدها ولا لعرب الشمال وحدهم ولا للأمة العربية وحدها ولا لأهل قرن دون قرن رحمة للعالمين على امتدادهم عبر الزمان والمكان ، ومن هنا وجب على القائمين على أمر دولة الإسلام هذه تحمل واجب انتشاره بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن ماذا لو وقف حائل أو عائق أمام الدعوة أمقدور كلمة الله – التى هى كلمة الدعوة – وحدها انذاك ان تخترق الحجب لكى تصافح الإنسان .

وقد يتفاقم شر هذا العائق فيتعدى على أرض الإسلام محارباً ، هنا يجب على المسلمين الذين يدينون به أن نخوضوا وهو مضطرين غمار الحرب مدافعين عن حماه ذائدين عن أرضه وحربهم هذه حرب مشروعه فى الثوابت الإسلامية تسمى بالجهاد فى سبيل الله والذى توفرت بواعثه وله آدابه التى تراعى قبله وأثنائه وبعده لأنه جهاد وحرب باسم الإسلام وفى سبيل الله وهذا سيتضح من خلال المبحث الثانى .

(١) سورة الأنبياء : آية رقم : ١٠٧ .

المبحث الثانى

الحرب فى الإسلام

ويضم المطالب الآتية :

المطلب الأول : دوافع الحرب فى الإسلام .

المطلب الثانى : توجيهات الرسول قبل الحرب .

المطلب الثالث : أخلاقيات المسلمين أثناء الحرب .

المطلب الرابع : معاملة المسلمين للأسرى .

فإلى هذه المطالب تأسيساً وتفصيلاً :